مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (5)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (5) 2013

أنماط الصورة الحسية في (أبجدية الأطياف) للشاعر سليمان زريق

الدكتور آصف دريباتي*

(تاريخ الإيداع 9 / 4 / 2013. قبل للنشر في 5 / 8 / 2013)

□ ملخّص □

تُعدّ الصورة الصلة السحرية بين الذات والعالم ، الصلة التي تصل إلى حد الامتزاج ، والعين التي تتحدث عن حلم الإنسان الذي يعيش بين جنباته ، ويقلقه في الداخل ، ولعل نمط الصورة الذي انبثق باستمرار من نمط العلاقات بين الفرد والمجتمع أصبح قاعدة لدقتها وتطورها ، وهي نتاج الخيال البشري ، وقد ظهرت لأول مرة حين أحس الإنسان بانفصاله عن الطبيعة ، ثم أخذت تتطور بتطور وعيه عبر مراحل إنتاجه في ظل الشروط التاريخية والاجتماعية والنفسية .....

وقد استطاع الشاعر سليمان زريق في مجموعته الشعرية (أبجدية الطيف) أن يكون الشاعر الإنسان الذي أنتج صوراً جديدة وأبدعها صوراً أودع فيها حُلُمَه الحياتي في حياة فضلى يسود فيها الحق والعدل والخير .

الكلمات المفتاحية: الصورة النمطية ، سليمان زريق

* **مدير أعمال – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (5)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (5) 2013

Sensory patterns in (alphabetic spectrum) The poet Suliman Zreiq

Dr. Assef Driebati*

(Received 9 / 4 / 2013. Accepted 5 / 8 / 2013)

□ ABSTRACT □

The image is considered a magical link between the self and the world, which reaches the mixing level; and the eye which talks about the dream of the man who lives between its flanks and worries in his inner self. the pattern is perhaps emerged consistently from the type of the relationships between the individual and the society, then it becomes the base for its accuracy and its evolution. It is the product of human imagination that appeared for the first time when the human senses his secession from nature and then evolved according to the development of his consciousness through the stages of his production under the historical, social and psychological conditions.

The poet Suliman Zreiq has managed, through his poetry collection (alphabetic spectrum), to be the human poet who produced new images created by his life's dream images of having a better life where there is truth, justice and goodness.

Keywords: Stereotype, Suliman Zreiq

***Work manager , Arabic language department in Tishreen university, Lattakia, Syria .**

مقدمة :

سليمان زريق شاعر عربي سوري من مواليد مدينة طرطوس ، عاش عمراً مديداً ، 1917–2010 وعاصر ثُلّة من الشعراء الكبار في القرن العشرين ، وكان صديقاً حميماً للشاعرين عمر أبو ريشة ، ونديم محمد . اتسم شعره بالجرأة في طرحه القضايا الوطنية والقومية والاجتماعية ، دعا إلى صون حرية الفكر ، وتحرير الفرد من كل ما ينغص عليه حياته ، ونقل تجربته الشعرية بصدق ، وبتعبير تصويري جلا معالم الفكرة ، ووهبها جمالية وحيوية لا يخلو من التجديد .

أهمية البحث وأهدافه :

إن ما دفعني إلى كتابة هذا البحث عن الشاعر سليمان زريق شغفه الشديد في تجاوز الواقع المعيش ورتابته إلى حيث الحياة الحلوة التي تغصّ بأفانين الجمال ، وصوره المستوحاة من تجربته الشعرية ، والتي غلب عليها التجديد وتسليط الضوء عليه كشاعر لم يأخذ شعره الحظ من الدراسة كغيره من الشعراء الكثر المغمورين .

منهجية البحث :

أما المنهج المتبع في هذا البحث المتواضع فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقف عند الظاهرة الشعرية ، فيصفها محللاً أبعادها ، ليتمّ من ثم الحكم عليها ، وإن كان للمنهج النفسي الحضور البيّن ، الذي أفدت منه في توضيح أبعاد الصورة التي تمثل انعكاساً لما في داخل الشاعر من أحاسيس .

الصورة الحسية :

إن الدائرة التي تمتد فيها الصورة الحسية ، هي دائرة في غاية السعة ، إذ تشمل كل الصور التي ترجع في موضوعاتها إلى مجالات الحياة الإنسانية والحياة اليومية والطبيعة والحيوان [1] ، وقد انتبه الأقدمون إلى صلة الاستعارة بالمحسوس ، ويقصد بالمحسوس المُدرك بوساطة الحواس الخمس [2] .

والصورة في حقيقتها وجوهرها لغة الحواس والشعور ، لغة الخيال والواقع ، لغة الرمز ، ذات دور تعبيري وبياني يحرِّك ، وإن الجمال لا بد له أن ينبثق في صور حسية ، تجعل الشعر يطفح بالإشراق ليمنحَ الآخرين حياتهم بعيداً عن جمود الواقع الذي يختلق منه الشاعر المعاصر مادته ، وينفعل به ، ثم يفعل فيه لينقلنا بعد ذلك إلى عالمه الخاص .... عالم القصيدة " [3] .

والواقع أن الوصف والتصوير قد كانا دائماً عنصراً أساساً في الشعر يوازن عنصر الغناء ، وعنصر التفكير [4] .

ولم يبتعد عبد الإله الصائغ عما ذهب إليه سابقوه ، إذ جعل الصورة الفنية نسخة جمالية إبداعية ، تستحضر الهيئة الحسية ، أو الذهنية للأجسام ، أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر ، ومقدار تجربته وفق تعادلية

---

[1] الرؤيا الإبداعية في شعر عبد الوهاب البياتي . عبد العزيز شرف ، مديرية الثقافة العامة (بلا مكان الطبع وبلا زمان) ، ص96 .

[2] أصول البلاغة . كمال الدين البحريني . تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار الثقافة ، الدوحة ، 1989 ، ص70 .

[3] الصورة الشعرية في الكتابة الفنية . د. صبحي البستاني . دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1986 ، ص23 .

[4] خليل مطران . محمد مندور . دار نهضة مصر ، (بلا ط ، بلا ت) ، القاهرة ، ص34 .

بين طرفين هما : المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بآخر [5] ، وهذا يقود إلى أن قيمة الصورة تظهر في قدرتها على بعث الإيحاء وترك الانطباع .

وإن الجمال لا بد له أن ينبثق في صور حسية ، تمثل حلم الشاعر تمثيلاً دقيقاً ، حتى تصبح الصورة تجسيماً دقيقاً لتطور حالته المعنوية عند نقطة من نقاط الانفعال النفسي الشديد [6] .

ودوائر الحواس ليست مغلقة ، بل إن بعضها ينفتح على بعضها الآخر ، ويكتسب منه بعض معطياته ، ولوازمه في إطار ما يُدعى بـ (تراسل الحواس) ، وهو يعني أن تعطي المسموعات ألواناً ، وتصير المشمومات أنغاماً، وتصبح المرئيات عاطرة [7] .

أنماط الصورة الحسية في (أبجدية الأطياف) لـ (سليمان زريق) :

أولاً : الصورة البصرية :

وهي الأكثر شيوعاً من غيرها في أشعاره ، فنحن لا نستطيع أن نصف الأشياء التي نعيش بينها ونجدها حولنا من غير التعبير عن ألوانها . وتعد حاسة البصر الآلة الأساس للرؤية ، فالعين أشبه ما تكون بآلة التصوير .

" فاللون من جهة يميز أحياناً بين الأشياء ، وهو من جهة ثانية من الخصال الأكثر لفتاً للنظم " [8] ، وميل الشاعر إلى لون أكثر من غيره في تصويره الأشياء يعكس حاله النفسية التي يعيش ، إذ لكل لون دلالة عند علماء النفس البشرية ، ففي قصيدة (أولئك إخواني) [9] تبرز الألوان جلية وقد أعطاها بريشته اتساقاً رائعاً عبر مجموعة من الصور :

خدودُ اليمِّ بالخيلانِ تزهو لآلئَ بَرَّجَتْ خدَّ السّماءِ

تهادتْ كالمَها قطعانَ نجمٍ ومِنْ عليائِها شعَّتْ لِرَائي

لوحة فنية قارب الشاعر بين أطرافها ليكتمل حسنها ، متكئاً في ذلك على عنصر التشخيص الذي أضفى حركية وألقاً على الكون الساحر ، فاليم أنثى جميلة موشاة بالخيلان ، والخيلان لآلئ تزين السماء وتزداد ألقاً ، أما النجوم فقطعان من بقر الوحش ، وهذا ما يعكس حال ارتياح نفس الشاعر ، ودعوته الصارخة إلى العطاء الزاهي ، وإلى حرية الإنسان ليكون الأقدر على العطاء ، وقد ألمح الشاعر إلى ذلك عبر الألوان التي استخدمها في لوحته ، كالأبيض ، لون الخير والنقاء وحسن السريرة والطهر والنور والغبطة والسلام ، فكلمة أبيض في اليونانية تعني السعادة والمرح ، ومقابل هذا اللون الأبيض نرى اللون الأسود في مقابلة رائعة ، وقد عكس الشاعر فيه همومه المخفية [10] .

ساق الشاعر كل ذلك بريشته التصويرية الحسية ، ليقرّب لنا المشهد الجميل ، ويجعلنا نشاطره الرؤيا الجمالية .

---

[5] الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ، عبد الإله الصائغ . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1997 ، ص99 .

[6] رؤية جديدة في دراسة الأدب العربي في عصر صدر الإسلام ، د. سعيد منصور . مؤسسة العبد ، الدوحة – قطر ، 1981 ، ص39 .

[7] النقد الأدبي الحديث . محمد غنيمي هلال . دار الثقافة ، بيروت ، 1973 ، ص418 .

[8] التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم. د. رولف فشر . مجلة التربية والعلوم، جامعة الموصل ، ع8 ، أيلول ، 1989 .

[9] أبجدية الأطياف . سليمان زريق . دار أعراف ، طرطوس ، ط1 ، 2006 ، ص121 .

10 الصورة الشعرية عند البردوني . و ليد مشوح . اتحاد الكتاب العرب ، ط1 ، 1996 ، ص181 .

فالأساس الحسي يعني انعكاس المشاعر على الأشياء عبر المدركات الحسية ، وغالباً ما تقترن الانفعالات بالحواس ومعطياتها في الألوان والأصوات [11] ، فتوقظ في الوجدان شعوراً دفاقاً .

وهذه الصورة تعتمد على حاسة البصر لتدخل إلى شعور المتلقي وفكره ، وتطلق طاقاتها الإبداعية لتجعل خيال المتلقي يحلق ؛ فيتراءى له أنه يرى الصورة بجزئياتها [12] . فاللون موسيقا ملائكية نفحتها السماء للأرض كمظهر من مظاهر إعجاز البشر عن إدراك كنه الجمال ، فالألوان مرآة الروعة والزهو والجمال ولسان ينطق بمعجزات الخالق ، إنها الهبة السماوية التي تصوِّر لنا الكون وبهجة الحياة ، وابتسامة الطبيعة ولها دور في مشاعر الإنسان وحياته النفسية ، وإحساسه باللذة في الحياة ، إذ ينعش فينا العواطف ويوقظ لنا المشاعر ويثير الخيال ، وقد تبدت هذه الصورة في قول الشاعر من قصيدة بعنوان (الريف) [13] .

في ليلةٍ مضويّةٍ — من آل نيسانَ نديّة

حيثُ الأزاهيرُ امتطتْ — سوقاً لطافاً سندسية

عِرزالُنا في حضنها — كالشّيخ في حِضن الصبيّة

إنها ليلة لا كالليالي حيث تبدو فيها الأشياء والمكونات جليّة لناظريك ، فأنت في نيسان وقمره الذي يضفي على الكون جمالية خاصة بأشعته البيضاء الفضية ، فتعطي سحراً على السحر ، فنيسان لم يعد الشهر المعروف بل إنسان له أهل وعشيرة .

والأزاهير فرسان وقد امتطوا سوق البنات أحصنة ، الأزاهير بألوانها المتعددة تدل على الحرارة ومصادر الحرارة الشمس والدم والنار ، وهذا ما يفسر لنا نيسان فتى له أهل وعشيرة .

وهذه الصور أبدعها الشاعر برؤيته الفنية الجديدة للأشياء فتشبيه الشاعر الأزاهير بالفرسان له دلالته ؛ فالفرسان أسياد الحرب والهمة ، والأزاهير ذات الألوان المشعة تتناسب وحرارة المقاتل ، فالأزاهير تشع لتجلب السرور للناس والفرسان يجلبون السعادة كذلك بتضحيتهم وبنصرها، أما اللون الأبيض في هذه الليلة فهو رمز النقاء والطهر والغبطة والفرح، وكأن في ذلك دعوة من الشاعر للتعاطي مع هذه الليلة بدفء وحيوية وحرارة لما فيها من المكونات ، أما السوق الخضراء اللفظة فترمز إلى الصفاء والخصب والكرم والنماء والتجدد والبشارة بما هو قادم ورائع [14] .

أما العرزال الشيخ الذي تربع في حضن ذلك الجمال ، فيرى فيه الشاعر نشازاً ؛ لأنه من صنع البشر ، وكأني بالشاعر يعترض على تدخل البشر في الجمال الكوني .وربما قصد الشاعر المحظورات الشرقية التي لا تبيح اللقاء جمهرة وعلى مرأى من الناس ، وربما نجد الشاعر في هذه الصورة حزيناً على ما فاته من الملذات .

---

[11] الأسس الجمالية في النقد العربي . د. عز الدين إسماعيل . دار الشؤون الثقافية العامة ، ط3 ، بغداد 1986 ، ص212 .

[12] ماري باترك

Litrary criticism . agloss of maj of tems longman inc . New york , 1982 .

[13] أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص47 .

[14] الرسم واللون . محي الدين طوالو . مكتبة أطلس ، دمشق ، 1961 ، (بلا ط) ، ص72 .

فالعرزال أسود في الليل يخبئ الأسرار في هذه الليلة النيسانية المقمرة الرائعة ، وربما قصد الشاعر دعوتنا للخروج إلى مثل هذه الليلة ، ومثل هذا المكان ، والطبيعة صبية حلوة ، يجلس العرزال الشيخ في حضنها وقد ملك الدنيا .

وبالإضافة إلى ما توحيه الألوان من دلالات ، وما تؤثر به في النفوس من معانٍ تزيد في الترابط النفسي بين الفرد ومظاهر الحياة المختلفة ، فإن للألوان قيماً تعبيرية ؛ فهي أشبه ما تكون بالظلال من ناحية تجسيم المدركات وإعطائها جواً حيوياً يقربها من نفس الرائي ، وتولّد لديه تجاوباً مع الحياة [15] .

كما تبدت هذه الصورة في قصيدة (موطني) [16] :

يا صبايا كالمرايا طفْنَ حولَ النّبع شلّهْ

يا كَدُوحاً خلفَ صِمْدٍ ينتضي المَسَّاسَ نَبْلَهْ

يا هراءً [17] لاوياتٍ جيدَها من ثِقل غَلّـّهْ

فوقها أسرابُ طيرٍ أوفدتْها ألفُ مِلّهْ

" فالصور البصرية تتزاحم في الأبيات السابقة في تناغم جعلَ منها لوحةً تضفي على الوطن جماليةً تتوق إليها النفوس ، فيها التعبير عن نعومة الجمال ، الجمال الأخّاذ ، كتصوير الفتيات بالمرايا نعومة وصقلاً وبهاءً ، وفيها التعبير عن الجانب الخشن في الحياة صورة الفلاح الكادح خلف محراثه بالمحارب المتمرِّس ، وكأني بالشاعر يتمثل قول الشاعر : " والضد يظهر حسنه الضد " ، فالحياة كما هي ملأى بصور الجمال الرائع ، ونعومة الحياة ، نراها في المقلب الآخر ملأى بعذابات الناس ، ولم ينسَ أن يذكر آلة الحرب المسّاس (النبلة) وكأني بالشاعر جدير بأن يعرف طباع البشر ، فالخجل سمة محببة عند الأنثى في شرقنا ، إذ أسبغ هذه الصفة على السنابل التي حان حصادها فطأطأت رأسها خجلاً كفتاة بلغت سن الزواج ، يُكتفى بإشارة من رأسها على القبول أو الرفض ، أما أسراب الطيور فسفارات من عوالم متعددة [18] .

هكذا يرى الشاعر وطنه جميلاً منيعاً منفتحاً على العالم ، خصباً معطاءً من غير أن يذكر ذلك بشكل صريح . إذ كل شيء فيه يضج حيويةً وعطاءً وحسناً وألقاً .

---

[15] **الصورة الشعرية عند البردوني . وليد مشوح . ص182 .**

[16] **أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص66 .**

[17] **الهراء : السنابل ، لسان العرب .**

[18] **إيحاءات الطير في النص الشعري . د. وجدان الصائغ . مجلة المنتدى ، دبي ، نيسان ، 1996 .**

ثانياً : الصورة السمعية :

وهي الصورة التي تعتمد الصوت وتستخدمه في رسم مكوناتها ، ويرتكز فيها الشاعر على حاسة السمع ، فالأصوات وسيلة الأذن بغية الوصول إلى مركز السمع ، وتقع هذه الصورة بالمرتبة الثانية في أشعار (سليمان زريق) جاء في قصيدة(يا رفاقي) [19] :

يا كناري جوقةَ الإبداعِ في الأجواءِ حلِّقْ

واصدحِ الألحانَ تمجيداً لمن أنشا وخلَّقْ

يا رفاقي لم يَعُدْ في الفلكِ مِزمارٌ يتمتم

أو على الأوتارِ ريشٌ من عقابٍ للترنّم

أنَّتِي تختالُ في ألحانكم تزأرُ ضَيْغَمْ

فالشاعر أراد بهذه الصور أن ينقلنا من جو الصمت والفتور إلى حيث الصخب ، إلى حيث الثورة على الواقع الفاتر ، فحرام على من يملك الإبداع كالكنار أن يسكت ، وهنا دعوة للمبدعين أن يحلقوا بإبداعاتهم ؛ لأن الوطن لا يُبنى بالرتابة المملة .

والمزمار ما خلق إلا ليرسل نغماته ويجلب السعادة للناس ، وقد استعار الشاعر التمتمة وهي للإنسان ليبرز دعوته إلى تداعي نغمات المزمار التي تبعث الحياة في الكون .

أما الأوتار فيفضلها ريش عقاب لتعطي أصواتاً عالية تيمناً بصاحبها العقاب ، إنه يريد علوَّ الصوت وبوحه ؛ لأن الصوت الضعيف لا يجد صدىً له ، يريد صوتاً يوقظ الغافلين ، فأنّة وجعه لا يريد لها أن تخبو بل يرغب في صدى مزمجر كزئير الأسود ، وهذا كله يقود إلى أن الشاعر أراد بهذه الصور أن ينقلنا من حال السكون والصمت على المظالم إلى حيث الثورة عليها ؛ لأنه لم يجد في الصمت نفعاً في مثل حاله وحال رفاقه . وهنا تستمد الصورة الاستعارية طابعها السمعي من هذا الصراخ ، صراخ الشاعر للكون، عله يجد رجعه الفاعل .

وقد أسبغ في هذه الاستعارات أحاسيسه كإنسان ، فالكنار مبدع ، والمزمار يتمتم ، والوتر مترنم ، والأنة تختال تارة ، وتزأر تارة أخرى ؛ لأن الكيان الإنساني الذي يُعدّ أساس الصورة ، لا يتحدّد فقط بأسباب اجتماعية إنتاجية ، بالرغم مما لدى الإنسان من نزوع إلى ذلك ، وذلك لأن الإنسان كائن طبعي أولاً بأول ، فالبنية الحقيقية للصورة تتوضح على ضوء المسافة التي يقطعها الكيان الإنساني في أثناء انتقاله من رحم الطبيعة إلى رحم المجتمع [20] .

---

[19] أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص7 .

20 مقدمة في الأنتربولوجية الاجتماعية. لويس مير . تر. مصطفى سلم ، وزارة الثقافة، بغداد ، 1962 م ، ص291 .

وفي نص آخر بعنوان يقول [21] :

والريحُ في الزّلّ تعوي واللحنُ فيها تشتّتْ

ناجى هزارٌ كناراً في وكنةٍ فاستكنتْ

والبحّةُ البِكْرُ آوتْ وجدانَنا واستقرّتْ

فقد جعل من الريح كلباً أو ذئباً يعوي ، وهنا يبدو أن الشاعر لا يحب الريح العاتية ، بل يخافها ولا يجد فيها غير الإزعاج .

والمناجاة استعارها للهزار ، إنها لغة المحبين البعيدين عن الصخب ، إذ تصبو النفوس إلى الهدوء . أما البحة فهي التي تأوي وجداننا كالبيت ، حيث الاستقرار والسكينة .

وفي هذا المقام يعكس الشاعر ما أراده في القصيدة السابقة ، فيتوق إلى الحبّ والمناجاة والسكينة والطمأنينة والبعد عن الضوضاء . والسكون هنا لا يكون إلا ظاهراً ؛ لأن أعماق الشاعر تعج بالصخب الذي نشتمه من وراء الاستعارات .

وفي قصيدته (الريف) [22] :

في البعد عن الجدولِ الرّقراقِ ضفدعةٌ فتيّة

تستنفرُ الذكران للإخصابِ في حضن العشيّة

هرّت كلابٌ في الجوار فجاوبتْ أخرى قصيّةْ

(كورال) أصواتٍ تآلفَ في القوافي والرويّة

إنها محطة أخرى من محطات وصف الريف الجميل برومانسية محببة إلى النفس الإنسانية ، عبر مجموعة من الصور الحسية السمعية مزاوجاً بينها وبين مجموعة من الألفاظ والتراكيب التي توحي بالمعنى ليمتعنا بجمالها الصوتي المتناغم ، (فالجدول يترقرق ، وصوت الضفدع صافرة إنذار تستنفر الذكران ، وهرير كلاب قريبة وأخرى بعيدة ...) ، وهذه الأصوات (كورال) أي فرقة مغنية ، توحي بالانسجام ، ساقها الشاعر بأسلوبه الرومانسي المعهود راسماً بريشته التصويرية ما يريد أن يوصله للكون من حياة طبيعة لا نشاز فيها .

وهذا يقود إلى قصائد تولد حية ، وما يبقى في مجال الفن حياً يبقى حياً على الدوام ، ويبقى محتفظاً بحيويته وطزاجته لا تدركه الشيخوخة [23] . وقد وجدنا هذه الضالة في أشعار (سلمان زريق) .

---

[21] أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص35 .

[22] أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص47 .

[23] أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاته الفنية. د. محمد زكي العشماوي . دار المعرفة الجامعية ، 1998 ، ص158 .

ثالثاً : الصورة الحركية :

ونعني بالحركة تلك الشعورية المتبادلة بين المبدع والمتلقي واختراق المبدع لسكون اللقطة ، وانفعال المتلقي ودهشته تجاهها [24] ونراها في الصور التي تجعل الحركة أساساً في بنائها ، والهدف من ذلك إضفاء نوعٍ من الحركة في القصيدة الشعرية . والصور الحركية من خصوصيات الشعر التي يمتاز بها ، فعبقرية الشعر تظهر في إبراز الفاعلية والنشاط والحركة الذي ينساب على سلسلة من لحظات متعاقبة [25] ، وقد تجلت هذه العبقرية في قصيدة (أضغاث أحلام) [26] :

أطوفُ حدائقي أشفي غليلا ... وأبقيها محصّنةً بتولا

أشاطِرُ طيرَها صهباءَ فجرٍ ... تهبُّ مع الصبا نفحاً عليلا

وأقطف من خدودِ النجم حسناً ... وأبعثُهُ إلى الدنيا رسولا

تكأكأتِ الرياحُ على جناحي ... وحَطّتْ بي إلى وادٍ نزولا

فكنتُ كمن محا سطراً ببطءٍ ... وخطّ سواه مأخوذاً عجولا

فالشاعر يجد شفاء وتعافياً في طوافه الحدائق ، إذ منظرها يشفي كالدواء ، من غير أن أبحث بها على عكس ذلك ، فهو يحافظ عليها كمحصنة بتول .

وهو يشاطر الطير صحوتها وانبعاثها المبكر إلى رزقها ، ولكنه جعل من الطير إنساناً يشاطره ويعاقره الشراب صباحاً، ويصعد إلى حيث النجوم الجميلات ليقطف بعض ورودها ، ويرسله إلى الدنيا ، وكأنه يريد أن يقول في تشبيه النجمة بالأنثى الجميلة ، كم هو جميل أن يعم الحب الأرض ، وينتفي الحقد ، وربما قصد أنه يريد أن يروض المستحيل حتى في حبه .

أما الريح فقد اختارت شاعرنا لتقله إلى الأسفل .

لقد أجاد الشاعر رسم تلك الصورة الحركية في منامه ، متكئاً فيها على مجموعة من الألفاظ التي ساعدته في خلق تلك الحركة (طاف ، شفى ، أبقى ، شاطر ، هبّ ، قطف ، بعث ، كأكأ ، حط ، محا ، خط) . وقد اعتمد الشاعر في هذه الحركة الرائعة على عنصر التشخيص بسعة شعوره ، ودقة إحساسه بالأشياء حوله ، كما اعتمد الشاعر في صوره السابقة على الحركة الخارجية للأشياء والموجودات حوله ، ثمّ بث نتيجة انفعالاته الوجدانية في هذه الأشياء فكحّلها برائحة تجربته الخاصة .

---

24 الصورة الشعرية عند البردوني ، ص209 .

25 فلسفة وفن . د. زكي نجيب محمود . مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 ، 1963 ، ص382 .

[26] أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص100 .

وفي قصيدة (أرواد) [27] تجلت الحركة في أحسن صورها :

أرجاؤها بالفُلْكِ محفوفةٌ رفٌّ الحبارى ران للصّائدِ

غنّت لها أمواجُها غنوةً في رقصةِ الخمصانةِ الناهدِ

منْ حولها مضمارُ حيتانِها من جارحٍ كالقرشِ أو فاردِ

فما يحيط بأرواد من أفلاك ، وهي تعلو وإلى فوق ، وتنزلِ تحت أشبه برف من الحباري يتهادى على مرأى من الصياد المتحفز للصيد . أما الأمواج المتلاطمة حولها ، فهي مغنيات بارعات يغنين جمال أرواد البكر، وأما الحيتان التي تستعرض قوتها حولها فيما بينها، فهي أشبه برياضين في مضمار السباق .

لقد أحسن نقل تلك الصورة الحركية حول هذه الجزيرة الصغيرة ، متكئاً في ذلك على هذا التجسيم الرائع ، وعلى مجموعة من الألفاظ خدمت الغرض (أفلاكها محفوفة ، الحباري الذي ران ، الأمواج تغني ، رقصة الخمصانة الناهد ، مضمار الحيتان والفراهد) .إذ كل شيء حوله خصّه بحركة تتواءم مع التشخيص الذي اختاره له .

رابعاً : الصورة الذوقية :

وهي الصورة التي تعتمد على حاسة الذوق وتستخدم هذه الحاسة في رسم معالم الصورة ، وتكسب الألفاظ المستعارة من حاسة الذوق قدرة على تقريب المفاهيم والمعاني المجردة بحيث تسحبها من دائرتها وتنقلها إلى دائرة الذوق، ويكثر ورودها في ديوان الشاعر كثرة تفوق الصورة الشمية ، فقد وردت في قصيدته (عرش الألوهة) [28] :

دنّ إليه تدلجُ الأفراح والروح في كنه الدوالي راحُ

وشاعرنا في صوره الذوقية صوفي في صومعته كمن سبقه من الصوفيين الذين ينشدون الذات الإلهية ، فالخمرة عنده ذات إلهية ، والخمرة الأرضية الروحية ما هي إلا امتداد للخمرة الإلهية ، وإلا لما دلجت الأفراح في مرأى الدن المملوء بالخمر .

وفي (كيف أحيا) [29] :

فصهبائي أعاقرها إذا ناجاها خلاّنُ

فأبحرُ عبرَ لُجَّتِها وثغر الكأس ريّانُ

بساطُ العُشبِ مَنسفنا وفوق الرأس رُمّانُ

فالصهباء (الخمرة الإلهية) لا يعاقرها إلا مع مجموعة من كيونها ، ويتذاكرون بها ، ويتوقون إليها فالمحبون يتلهفون إليها ، يناجونها ، والمناجاة للإنسان . والكأس التي يشربون بها لها ثغر يتوق الناس إلى لثمة وذوقه .

---

[27] **أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص43 .**

[28] **أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص96 .**

[29] **أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص50 .**

وفي محطة أخرى من ديوانه تطالعنا قصيدة (كيف أريد الحياة) [30] :

أقتاتُ من بقلِ الحقول وأحتسي دَمْعَ الأزاهِرْ

إنه يريد أن يعيش حياة بعيدة عن التعقيد ، حياة طبيعية ، يأكل ما تنتجه الطبيعة من بقل ، ويحتسي دمع الأزاهير ، فالأزاهير لم تعد أزاهر بل إنساناً ونداها هو الدمعُ . وقد نوَّهنا إلى هذا التشخيص الرائع في قصائد الشاعر سابقاً ، ولا يخفى طعم الاقتيات والاحتساء على باحث .

خامساً : الصورة الشمية :

وهي الصورة التي تعتمد الشم ، وتستخدم المشمومات في رسم مكوناتها ، وهي قليلة إذا ما قيست إلى سواها من البصرية والسمعية والحركية ، ومنها قصيدة الشاعر التي تحمل عنوان لبنان [31] :

لبنان يا سِبْطَ الجمال اِلعقْ جراحك
يا عطرَ أندلسٍ شممناه ولم تمنع أقاحَك
همسُ الجنانِ على الربى بالعطرِ فاحَك

فلبنان الجميل عِطرٌ وأي عطرٍ ، إنه العطر الأندلسي الذي يضوع من أزاهير الأقاح ، وكأنها زقّ عطرٍ ، إن أرض لبنان وربى لبنان أشبه بجنان الخلد ، فحيثما اتجهت ، تنسّم ضوع الأزاهير .

ومن البداية رأى في لبنان أنه ابن للجمال في استعارة رائعة، ومن كان في هذه المكانة، فعليه أن يتعالى على الجراح الدنيوية، ولا نغفل عن تصوير الشاعر لبنان (الجنة) ، والعطر ينبعث من ربوعه بإنسان يهمس ، الهمس الممزوج بالعطر والروعة والصفاء .

وفي قصيدة (كيف أحيا) [32] :

أريجُ قبائل الأزهار صلّى فيه بُستانُ

فالأزهار عند شاعرنا قبائل ومكان للصلاة ، وما ذاك إلا لجماليتها ، وقدسيتها ، وقد أراد من ذكر القبائل كثرة هذه الأزاهير الفواحة التي تبوح بما لديها من عطر .

كيف أريد الحياة [33] :

أصحو مع الفجر المضمّخ بالشذى والعرفُ عاطر

وقد تكرر الحديث عن الصحو بأساليب متعددة لدى الشاعر ، وهنا تتزامن صحوة الشاعر مع الفجر وكأنهما صديقان أليفان ، يصحوان في وقت واحد ، وأي فجر هذا الذي يصوره الشاعر ، إنه الفجر العابق بالروائح الطيبة ، بالشذا المنعش ، بالعرف العاطر الذي يبعث النشوة في النفس ، والحيوية في الجسم .

خاتمة :

[30] **أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص81 .**
[31] **أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص123 .**
[32] **أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص50 .**
[33] **أبجدية الأطياف . سليمان زريق . ص81 .**

ونخلص إلى القول: إن الشاعر سليمان زريق أجاد إلى حد كبير في اعتماد الصورة الحسية كالتقريب بين الواقع والخيال والمخيل ، وقد أحسن صنعاً في ذلك ، كما لمسنا في صوره بعض التجديد كتشبيه الأزاهير بالفرسان والسوق الخضراء بالأحصنة ، وسراب الطير بالسفراء ، والضفدع تستنفر الذكران يصوبها ، ومشاطرة الشاعر للطير في صهباء الفجر ، وحيتان أرواد لها مضمار سباق ، والأزهار قبائل .

وقد أسهمت الصورة بأنماطها في عكس الملامح الجسدية والنفسية لشخصية شاعرنا ، إذ أبرز الشاعر في صوره الحسية قدرته الإبداعية التي أضافت زهرة إلى طوق الصورة في الشعر العربي ، كما أبرز في صوره ما يصبو إلى تحقيقه من أفكار تهمُّ الفرد والمجتمع .

والأمل يجدد في أن أكون قد وفّقت في تسليط الضوء على شاعر من شعرائنا الذين لم ينالوا الحظ من الدراسة الأدبية ، في تبيان بعض مظاهر الجمال في قصائده ، وأن تكون دراستي حافزاً لمحبي الأدب ليكتشفوا ما لم أكتشفه ، ويقفوا على دراسات أخرى تسهم في رفد المكتبة العربية بالمزيد من الكتابات الواعدة .

ترتيب المراجع والمصادر

1-أبجدية الأطياف . سليمان زريق . دار أعراف ، طرطوس ، ط1 ، 2006 .

2-الأسس الجمالية في النقد العربي . د. عز الدين إسماعيل . دار الشؤون الثقافية العامة ، ط3 ، بغداد 1986 .

3-أصول البلاغة . كمال الدين البحريني . تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار الثقافة ، الدوحة ، 1989 .

4-أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاته الفنية. د. محمد زكي العشماوي . دار المعرفة الجامعية ، 1998 .

5-إيحاءات الطير في النص الشعري. د. وجدان الصائغ. مجلة المنتدى ، دبي ، نيسان ، 1996 .

6-التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم. د. رولف فشر . مجلة التربية والعلوم، جامعة الموصل ، ع8 ، أيلول .

7-الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997

8-خليل مطران . محمد مندور . دار نهضة مصر ، (بلا ط ، بلا ت) ، القاهرة .

9-الرسم واللون . محي الدين طوالو . مكتبة أطلس ، دمشق ، 1961 ، (بلا ط) .

10-الرؤيا الإبداعية في شعر عبد الوهاب البياتي . عبد العزيز شرف ، مديرية الثقافة العامة (بلا مكان الطبع وبلا زمان) .

11-رؤية جديدة في دراسة الأدب العربي في عصر صدر الإسلام ، د. سعيد منصور . مؤسسة العبد ، الدوحة – قطر ، 1981 .

12-الصورة الشعرية عند البردوني. و ليد مشوح. اتحاد الكتاب العرب ، ط1 ، 1996 .

13-الصورة الشعرية في الكتابة الفنية . د. صبحي البستاني . دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1986 .

14-فلسفة وفن . د. زكي نجيب محمود . مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 ، 1963 .

15-مقدمة في الأنتربولوجية الاجتماعية. لويس مير. تر. مصطفى سلم، وزارة الثقافة، بغداد، 1962 م.

16-النقد الأدبي الحديث . محمد غنيمي هلال . دار الثقافة ، بيروت ، 1973 .

17- Litrary criticism . agloss of maj of tems longman inc . New york , 1982 .